الباب ، حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه ، وتكلمه بالوحى بشاشة قلبه فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن إليه ويسكن إليه ، ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله ، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل ، بل يصير ذلك لقلبه بمنزله رؤية الشمس فى الظهيرة لعينه ، فلو خالفه فى ذلك من بين شرق الأرض وغربها ، فلن يلتفت إلى خلافهم ، وقال إذا استوحش من الغربة . كان بإيمانه العميق آمنا مطمئنا ، ولو كان جميع أهل الأرض يخالفه ، ما نقص ذلك من طمأنينته شىء .

□□□

فهذا أولى درجات الطمأنينة ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه ، وهذا أمر لا نهاية له ، فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التى قام عليها بناؤه ، ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ ، وما بعدها من أحوال القيامة ، حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا ، وهذه حقيقة اليقين الذى وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان حيث قال : ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾(البقرة ٤) فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها ، طمأنينة إلى الأمور التى لا يشك فيها ولا يرتاب ، فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر ، كما فى حديث حارثة : « أصبحت مؤمنا حقا ، فقال رسول الله ﷺ « إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت نفسى عن الدنيا وأهلها وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وأهل النار يعذبون فيها فقال ﷺ : عبد نور الله قلبه » .

النفس اللوامة وأحوالها

وأما النفس اللوامة وهى التى أقسم بها سبحانه فى قوله : ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (القيامة ٢) فاختلف فيها فقالت طائفة : هى التى لا تثبت